الصدق طريق النجاة

عبد العزيز الشناوى

رســـوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع شارع الهادى وعبد السلام عارف
ت/ ٣٥٧٨٨٢

٦

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع ش عبد السلام عارف مع ش الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

كـان مـدرس التربـية الإسـلامية عـلى وشك أن يبدأ الدرس عندما سمع طرقاً على باب الفصل فقال دون أن ينظر نحو الباب:

ـ تفضل..

أطلّ صادق عبد المقصود برأسه من بين فكى الباب وقال:

ـ أنا آسف يا أستاذ.. لقد كنت عند الزائرة الصحية.

ضحك التلاميذ، كانوا يعرفون أنه يلعب كرة السلة في فناء المدرسة؟

قال المدرس:

ـ أدخل ولا تتأخر مرة أخرى

مازالـت البسـمة بـين شفاة التلاميذ، انتقل بصر الأستاذ بين وجوه التلاميذ ووجـه صـادق عـبد المقصود، أدرك المدرس أن صادق عبد المقصود قد كذب عندما ادعى أنه كان مريضاً عند الزائرة الصحية؟

قال المدرس:

ـ قـال الصـادق المصـدوق صـلى الله علـيه وسـلم: "إياكم والكذب، فإن الكذب يهـدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب، ويتحرى الكـذب حـتى يكتب عند الله كذابا، وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البـر يهـدى إلى الجـنة، وإن الـرجل ليصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا" (رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود).

ثم عاد المدرس ينظر نحو صادق عبد المقصود وقال:

- إن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط مصدقاً إلى بنى المصطلق.

فتساءل أحد التلاميذ:

- ما معنى مصدقاً؟

قال المدرس:

- أى يأتى بالصدقة التى تؤدى.. فلما أبصر بنو المصطلق الوليد بن عقبة أقلبوا نحوه فهابهم.

قال أحد التلاميذ:

- لماذا هابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال المدرس:

- كان هناك ثأر قديم بين الوليد بن عقبة وبنى المصطلق فقد قتل منهم رجلاً.. فرجع الوليد بن عقبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن بنى المصطلق قد ارتدوا عن الإسلام.

قال أحد التلاميذ:

- ماذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم عندئذ؟

قال المدرس:



- بعث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل.

تساءل أحد التلاميذ:

- ما معنى يتثبت ولا يعجل؟

قال المدرس:

- يتأكد أن بني المصطلق لم يرتدوا وأنهم مازالوا مسلمين ولا يعجل بحربهم.

قال أحد التلاميذ:

- وكيف تثبت من ذلك؟

قال المدرس:

- إذا سمع خالد بن الوليد مؤذني المصطلق يؤذنون للصلاة فهم متمسكون بالإسلام.

انطلق خالد بن الوليد إلى بني المصطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه.

قال أحد التلاميذ:

- ما معنى عيونه؟

قال المدرس:

- جواسيسه.

فلما رجعوا أخبروا خالد بن الوليد أن بنى المصطلق مازلوا متمسكين بالإسلام، وأنهم سمعوا آذانهم وصلاتهم فتساءل.

أحد التلاميذ:

ـ ماذا فعل خالد بن الوليد عندما علم ذلك؟

قال المدرس:

ـ لما أصبحوا أتى خالد بنى المصطلق فرأى صحة ما قاله عيونه.

وقال بنو المصطلق:

ـ لماذا تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبعث إلينا مصدقا؟

فقال خالد:

ـ لقد بعث إليكم.

قالوا:

ـ لما سمعنا به ركبنا إليه، فلما رآنا خافنا، لقد ركبنا وخرجنا إليه لنكرمه ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ولكنه رجع، وزعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا لقتاله، والله ما خرجنا لذلك.

فعاد خالد بن الوليد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره.

فنزل قوله تعالى "إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" سورة الحجرات الآية : ٦.

قال أحد التلاميذ:

- ما معنى فاسق؟

قال المدرس:

- الفاسق يعنى الكاذب.

قال أحد التلاميذ:

- لو تعجل النبي عليه الصلاة والسلام لحدث مالا يحمد عقباه.

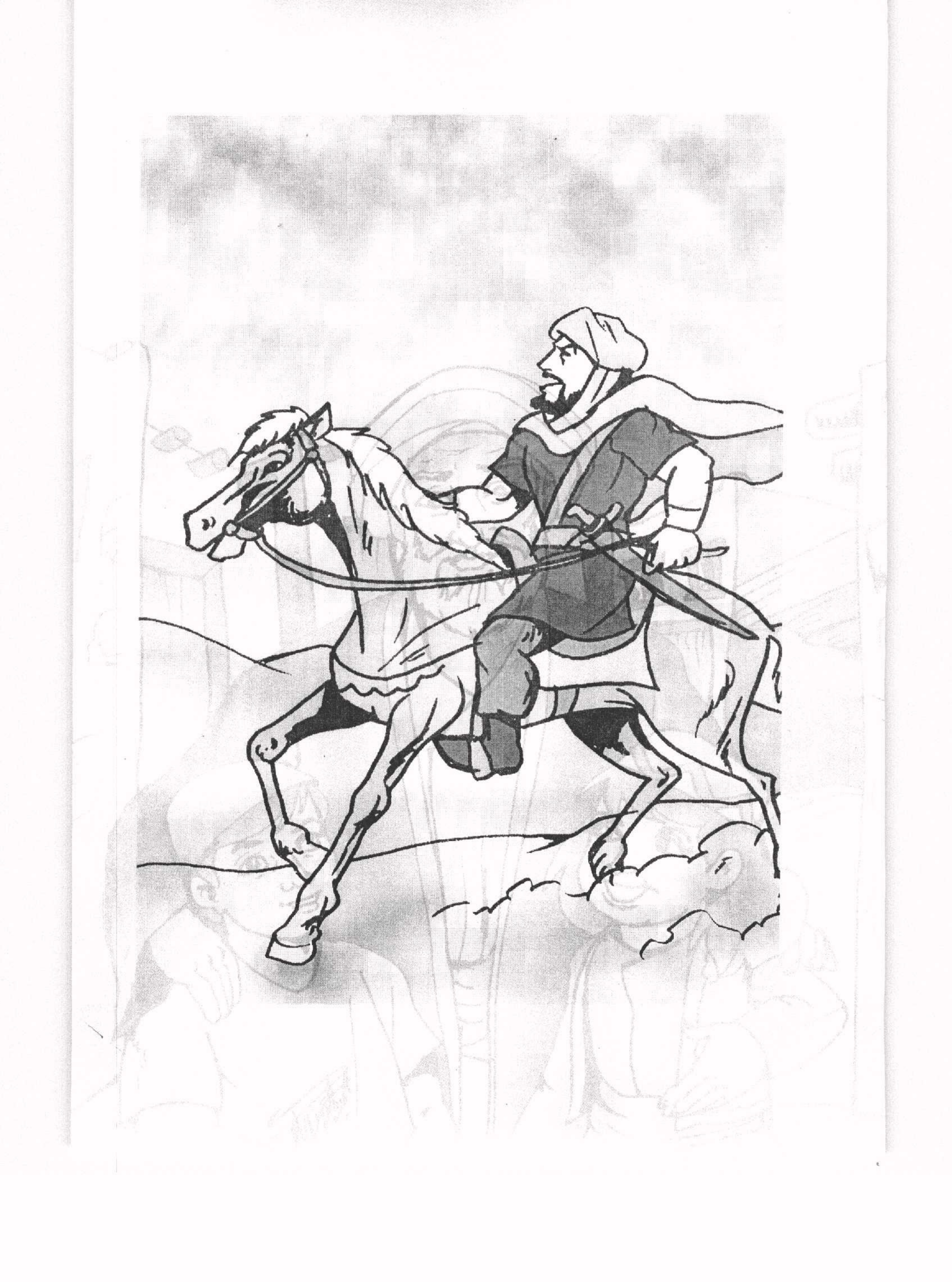
قال المدرس:

- الكذب أمر خطير حذرنا منه الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم فقال:

"إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يدرى ما بلغت من رضوان الله فيوجب الله له بها الجنة إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يدرى ما بلغت من سخط الله فيوجب الله له بها النار إلى يوم القيامة" (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبى أمامه).

وقال الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم:

"يعذب اللسان بعذاب لا يعذب به شيء من الجوارح، فيقول: يا رب لم عذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح؟ فيقال له: خرجت منك كلمة بلغت مشارق الأرض ومغاربها، فيسفك بها الدم الحرام، وأخذ بها المال



الحـرام، وانتهك بها الفرج الحرام، فوعذتي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من الجوارح" (رواه أبو نعيم عن أبان بن أنس).

قال أحد التلاميذ:

– لقد صدق الله عز وجل عندما قال: "فتبينوا" من التثبت والتبيين لئلا تصيبوا القوم بخطأ على العجلة وترك التأني.

قال المدرس:

- نعم.. لذلك قال الذى أوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم: "التأنى من الله والعجلة من الشيطان"

ثم أشار المدرس إلى لسانه وقال:

قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم:

"من ضبط هذا وهذا، وأشار إلى لسانه ووسطه ضمنت له الجنة" (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبن مسعود).

فتساءل أحد التلاميذ:

- لماذا أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى وسطه؟

قال المدرس:

يقصد فرجه فقد قال عليه الصلاة والسلام: من وقاه الله ما بين لحييه ـ اللسان ـ وشر ما بين رجليه ـ فرجه ـ دخل الجنة (رواه الترمذى وابن حبان عن أبى هريرة).

نظر التلاميذ نحو صادق عبد المقصود وكأنهم يقولون له:

ـ أسمعت؟

فنكس رأسه، وتظاهر المدرس أنه لم ير شيئاً واستطرد قائلاً:

ـ الصدق يا أبنائى طريق النجاة وسأروى لكم قصة طفل كلكم تعرفونه، إنه محمد بن إدريس أى الإمام الشافعى.

خرج غلام من بلده إلى المدينة ليطلب العلم، وكان عمره لا يزيد على اثنتى عشرة سنة، وقبل أن يغادر بلدته قالت له أمه:

ـ هذه أربعمائة درهم.

فقال الغلام:

ـ يا أماه أوصنى.

قالت الأم:

ـ يا بنى عاهدنى على أنك لا تكذب

فقال الطفل:

ـ أعاهد الله وأعاهدك على أن لا أكذب

وركب الغلام دابته متوجهاً إلى المدينة وقد وضع أربعمائة درهم في صرة أخفاها بين ثيابه وفى الطريق إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على القافلة قطاع الطرق فسلبوا أموالهم ولما استوقفوا محمد بن إدريس سألوه:

ـ أمعك مال يا غلام؟

قال الغلام:

ـ نعم.

قالوا:

ـ كم..؟!

قال محمد بن إدريس:

ـ معى أربعمائة درهم.

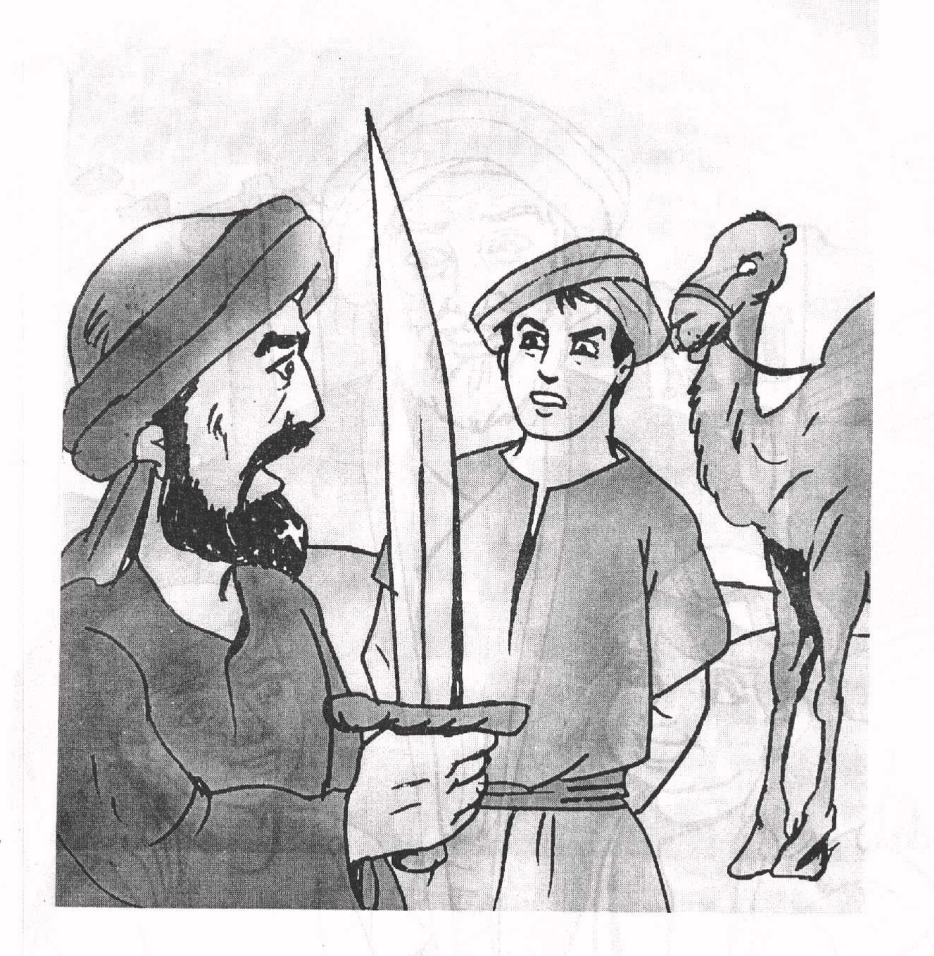
فضحكوا ساخرين وقالوا له:

ـ امض، أتهزأ بنا؟ انصرف أمثلك يكون معه أربعمائة درهم ؟

فانصرف محمد بن إدريس ووقف بجانب القافلة التى سلبت أموالها، ولما رجع قطاع الطريق إلى زعيمهم سألهم:

ـ هل سلبتم كل شيء؟

قالوا:



- نعم.

فراح ينظر إلى المال والملابس و.. ثم تساءل:

- هل تركتم أحداً دون أن..؟!

قالوا:

- لا.

ثم قالوا:

- ولكن وجدنا غلاماً ادعى أن معه أربعمائة درهم ويبدو أنه يسخر منا فطلبنا منه الانصراف.

قال زعيم قطاع الطريق:

- ائتوني به.

فجاءوا بالغلام فسأله زعيم اللصوص:

- أمعك مال يا غلام؟

قال محمد بن إدريس:

- نعم.

قال زعيم قطاع الطريق:

- كم معك؟

قال محمد بن إدريس:

ـ معى أربعمائة درهم.

فقال زعيم اللصوص:

ـ أين هى؟

فأخرجها الغلام من بين ملابسه وقدم إليه صرة بها أربعمائة درهم.

صب زعيم قطاع الطريق الدراهم في حجره ثم نظر إلى الطفل في عجب وتساءل:

ـ لماذا صدقتنى عندما سألتك ولم تكذب على وأنت تعلم أن المال إلى ضياع؟

قال محمد بن إدريس:

ـ صدقتك لأننى عاهدت أمى على ألا أكذب على أحد.

توقفت يد زعيم اللصوص عن مداعبة المال فقد خفق قلبه خفقة لله رب العالمين فقال وهو يرد المال إلى محمد بن إدريس:

ـ خذ مالك.. تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله جل جلاله؟ انصرف يا غلام أمنا فقد تبت إلى التواب الرحيم على يديك توبة لا أعصيه بعدها أبداً.

ثم نظر زعيم اللصوص إلى أصحابه وقال:

ـ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها.

فقالوا:

يـا سـيدنا إذا كنـت قـد تبـت إلى الـتواب الرحـيم وأنـت زعيمنا فنحن أولى بالتوبة منك إلى الله.

وتابوا جميعاً.

دق الجـرس.. فخـرج المـدرس مـن الفصل وأشار إلى صادق عبد المقصود وقال له:

ـ اتبعنى إلى حجرة المدرسين.

كانت الحجرة خالية فتبسم المدرس وقال لصادق:

ـ لحسـن الحـظ أن الحجـرة خالية وقد أردت أن أحدثك على انفراد حتى لا يسمع زملاؤك حديثنا.

قال صادق عبد المقصود في صوت يوحى بالصدق:

ـ أعـاهدك يـا أستاذ كما عاهد محمد بن إدريس الله وأمه ألا أكذب بعد اليوم أبداً.